Designer
Rawan Tamer
أم البنات
حنان حنفي أحمد

# قصة من الواقع

# (أم البنات)

# حنان حنفي أحمد

**إهداء**

**إليها وهي تعرف نفسها**

**إلى تلك السيدة الجميلة التي لم أرى أجمل من روحها**

**تخطت الصعاب بفضل الله وخلال طريقها الصعب لم تتخلى عن  روحها تلك الجميلة**

**صدقًا كان لي الشرف أن أسطر حروف قصتك التي تنبض بالحياة**

**كم تعلمت منكِ الصبر والجلد، وحقًا قصتك ما هي إلا واقع علينا أن نتعظ ونتعلم منه، كم أنا فخورة بمعرفتكِ، كم أنا فخورة بكفاحكِ.**

**تحياتي لكِ**

**حنان حنفي أحمد**

## مقدمة

هذه الرواية هي قصة من الواقع لحكاية تنبض بالحياة، تتناول قصة حياة سيدة قررت مواجهة الحياة برغم الصعاب التي واجهتها ولم تستسلم للشعور باليأس، كانت حياتها منهج يُدرس للكثير ممن يستسلمون بسهولة فيصبحون فريسة للأمراض أو الإقدام على الانتحار.

لم يكن ذلك اليوم عادي فقد كان أول يوم بشهر رمضان المبارك. تجمعت الفتيات بمنزلي، كنت أقف بالمطبخ منذ الصباح لأعد أشهى الأطعمة من أجل فتياتي وأزواجهم وأحفادي، وضعت الطبق الأخير على المائدة وقد كانت حفيدتي فريدة تساعدني بأشياء بسيطة.

جلس الجميع على المائدة وسمعوا صوت المؤذن وهو يؤذن وقبل أن يمد أحد منهم يده قولت:

- لا تنسوا الدعاء أولا.

ثم أخذ كل واحد منهم يدعوا بما يعتمر به قلبه ويرجوه، ونظرتُ أنا إلى زوجي وأخذت أدعو الله وأرجو منه أن يتغير للأفضل، لم يكن يأبه كثيرًا لحديثي وشرع في تناول الطعام، ثم تلاه البقية ولكنني ظللت على حالي فترة أدعو الله وأحمده على نعمه الكثيرة وأنا أنظر إلى بناتي أثناء دعائي من حين لآخر وأنا مبتسمة وقريرة الأعين برغم كل ما ممرت به من قبل على مدار الثلاثة والثلاثون عامًا الماضية.

دعوني أخبركم بقصتي ولعلها تكون قصة إفادة للكثير ممن سيخوضون تلك التجربة مثلي.

# الفصل الأول

اسمي رجاء نشأت بين أسرة متوسطة متحابة بين أب وأم شديدوا الحنية، كان لديّ ثلاثة أخوة ذكور واثنين من الفتيات كنت أنا أكبرهم، كانت والدتي تشعر بالتعب من حين لآخر فكنت أنا من أساعدها وأعينها في تربية اخوتي ولم أكن أمِل أو أشكو من ذلك. لم يكن لديّ أصدقاء سوى أماني التي تعرفت عليها بالمرحلة الإعدادية ومنذ وقتها ونحن لم نفارق بعضنا.

كان كل شيء يمشي على ما يرام إلى أن ذات يوم فوجئنا بنبأ وفاة جدتي والدة أمي، وحزنت أمي عليها حزنًا شديدًا، وقد كان أكثر ما يحزنها وقتها أنها لم يتسنى لها رؤيتها قبيل وفاتها نظرًا لبعد المسافة بينهما ولم تلحق أن تحضر جنازتها مع الأسف؛ فقد كانت والدتها تقطن بمحافظة دمياط في حين أن أمي كانت تقطن بمحافظة القاهرة، وبوفاة جدتي تغيرت أمي كثيرًا واتخذت بينها وبين نفسها قرار عجيب أثر فيما بعد عليّ أكثر من اخوتي جميعًا.

انتظرت نتيجة الإعدادية بفارغ الصبر؛ فقد كنت أتمنى أن أحظى بمجموع كبير للالتحاق بالثانوية العامة، وعندما ظهرت النتيجة وعلمت أنني نجحت وبتفوق، شعرت بالسعادة لقربي من تحقيق حلمي وأن أصبح طبيبة، ولكني لم أهنأ كثيرًا حيث مرضت والدتي واحتاجت لأحد

ليعتني بها فتفرغت لها تمامًا، وعندما علمت أن مرض والدتي مستعصي قررت التضحية ودخول الثانوية التجارية بدلًا من الثانوية العامة، وتخليت عن حلمي بأن أصبح طبيبة واكتفيت بالتعليم بالمنزل لملازمة والدتي ومراعاة اخوتي، ثم قررت أن التحق بمجال العمل أيضًا لأساعد أبي وأخفف عنه الحمل قليلًا؛ فعملت بحضانة صباحًا وتعلمت التمريض حتى أستطيع مراعاة أمي أثناء مرضها المزمن، ثم التحقت بعمل بعيادة ليلًا مع طبيب محترم اسمه نبيل والذي لم يبخل عليّ بالنصيحة في أي شيء.

ذات يوم كان هناك شخص ينادي على سامح أكبر أشقائي، وقد كان سامح غير موجود بالمنزل فذهبت إلى الشرفة وتطلعت منها لأرى من ينادي على شقيقي؛ فرأيت شاب وكانت تلك المرة الأولى التي أراه بها، انتظرت ليتحدث ولكنه التزم الصمت تمامًا فقولت أنا:

- أخي سامح غير موجود

انتظرت ليتفوه ولو حتى بكلمة ولكنه لم ينطق فاضطررت للدخول، شغلني بعد ذلك نظرات الإعجاب التي رأيتها في عيون ذلك الغريب ولكني حاولت ألا أقف عندها طويلًا، وعندما جاء سامح أسرعت لاستقباله وقولت له:

- لقد جاء شخص وسأل عليك اليوم

- من هو؟

- لم يخبرني باسمه، وتلك هي المرة الأولى التي أراه بها

ـ ربما يكون يوسف؛ فهو شخص خجول كثيرًا ولا يتحدث بالكثير.

تركته وذهبت إلى غرفتي وأنا ساهمة، أخذت أفكر أنني بت أعرف اسم ذلك الشاب الغريب الآن، ثم لم يمهلني أي من أختاي الاثنتان أن أفكر وقد نشب بينهما شجار قوي، ولأنني كنت أختهم الكبيرة والعاقلة بينهما أخذت أفض ذلك الشجار وأضحك منهما كما تعودت عليهما.

ذات يوم كنت بالشارع ورأيت ذلك المدعو يوسف صديق أخي صدفة ولاحظت نظرات الإعجاب بعينيه لي ولكنه لم يتحدث معي، وقد تأكدت وقتها أنه شخص جاد وذو أخلاق عالية، ومر يومان ثم فوجئت بشقيقي سامح يلمح أمام والدي ويقول:

ـ صديقي يوسف يريد أن يأتي بصحبة والديه ليتعرف عليك يا أبي

ـ مرحبا به في أي وقت، ولكن ماذا يريد؟

غمز سامح بعينه لي وقال:

ـ يبدو أنه يريد الزواج من..

لم أنتظره ليكمل حديثه حيث جريت على غرفتي سريعًا، كنت خائفة أن يكشف أحد أمري ويسمع دقات قلبي العالية، كنت لازلت مراهقة وسعيدة أن هناك أحد معجب بي، ثم اتصلت بأماني صديقتي لأشركها معي بتلك اللحظة الجميلة.

استقبل أبي يوسف ووالديه بترحيب شديد أما عن أمي فقد كانت متحفظة بعض الشيء، جلس جميعهم بالصالون وأخذت أختاي تتلصص عليهم، وانضممت أنا إليهم وكأن الأمر لا يخصني، ثم تناهى إلى مسامعنا بعض الكلمات:

- نحن نتشرف بطلب يد ابنتك رجاء لابني يوسف.

كانت كلمات في ظاهرها بسيط ولكن بالنسبة لي لم تكن كذلك، كدت أن أطير من الفرحة لأنني صرت مطلوبة والشباب تتقدم لطلب يدي، وأخذت كل من فاتن وسعاد يهنئونني، ولم أستطع أنا أو هما سماع شيء آخر بسبب قدوم شقيقي الأوسط الذي ما إن رأيناه ذهبنا على الفور على غرفتنا.

ومر ذلك اليوم وانتظرت أن يستدعيني والدي ليتحدث معي ويأخذ رأيي في ذلك الموضوع ولكن ذلك لم يحدث، وشعرت بالغرابة من ذلك ولم أجرؤ أن أسأل أحد عما حدث، ولكني شعرت بأن هناك مشاحنات بين أبواي منذ ذلك اليوم فآثرت الصمت؛ إلى أن ذات يوم علمت بالصدفة من سعاد أختي الصغرى ما لم أتوقعه فوجدتها تقول لي:

- هل تعلمين أن أبي وأمي رفضا ذلك العريس الذي تقدم لكِ منذ عدة أيام

قولت بدهشة:

- ماذا.. ألا تعرفين السبب في ذلك؟!

- بلى أعرف؛ فقد رفضت أمي ذلك المدعو يوسف نظرًا لأن منزله الذي سيقيم به بمدينة الفيوم بالقرب من والديه

- وما المشكلة في ذلك؟!

- المشكلة أن أمي لا تريدكِ أن تبتعدي عنها كما ابتعدت هي عن والدتها عندما تزوجت، وذلك أثر على نفسيتها كثيرًا خاصّة عندما مرضت جدتي وهي لم تستطع أن تراها قبيل وفاتها، ولا تنسي أنكِ تساعديها في كل شيء منذ أن مرضت لذا هي لا تريدك أن تفارقيها أبدًا.

استمعت لها وأنا أكاد أكون غائبة عن الوعي، كان أكثر ما يحزنني هو رفض أبواي ليوسف دون أخذ مشورتي وكأن الأمر لا يعنيني ، معذوران فلم يكونا على علم بما أفكر به، وهل أملك الجرأة لأخبرهم به؟

وبسبب ذلك آثرت الصمت وقررت نسيان يوسف وإدمان رؤية نظراته الجميلة البريئة لي، وتمنيت من الله عندما أتزوج أن أتزوج عن قصة حب كما بالأفلام ومنيت نفسي بذلك.

أصبحت علاقتي أنا وأماني قوية برغم انشغال أماني بالجامعة التي التحقت بها فقد التحقت بكلية الحقوق، وكنت أنا منشغلة بمساعدة والداتي واخوتي وعملي، وذات يوم كنت نائمة وإذا بأبي يوقظني ويقول لي:

- رجاء رجاء.. استيقظي يا ابنتي.. هناك ناس بالخارج

يريدونكِ لتعطي الحقنة لابنتهم المريضة

فتحت عيناي بصعوبة ونظرت بآلية إلى الساعة التي كانت الثانية صباحًا ثم قولت:

ـ ولكن الوقت متأخر كثيرًا يا أبي

ـ الطفلة حالتها حرجة ودكتور نبيل هو من رشحكِ لتلك المهمة، إنها مهمة إنسانية يا ابنتي

ـ حسنًا يا أبي سأرتدي ملابسي وانزل في الحال.

ارتديت ملابسي وذهبت بصحبة أخي إلى منزلهم، وهناك رأيت والدة الطفلة التي كادت أن تموت من القلق على ابنتها، وأسرعت بإعطاء الحقنة للطفلة التي كانت متعبة كثيرًا بالفعل، وفي وسط ذلك لمحت شخص دخل إلى الغرفة ثم خرج سريعًا، وبعد أن انتهيت وهممت أن أغادر عرضوا عليّ النقود فرفضت بشدة؛ فأنا كنت اكتفي بأجري من عيادة دكتور نبيل ولم أكن آخذ نقود لقاء عملي بخارج العيادة، وعلى مايبدو أنهم كانوا سعداء بي كثيرًا فلم يطلبوا أحد غيري بعد ذلك لتلك المهمة، تكررت زياراتي إلى هناك بصحبة أخي الذي لم أكن أذهب من دونه، ثم ذات يوم وجدت أمي تهيأ المنزل وترتبه واشترت لي ثوب رائع، في بادىء الأمر اندهشت من كل ذلك الاهتمام ولكن تلاشى اندهاشي عندما أتت سعاد وقالت لي:

ـ هل تعلمين لمَ والدتنا مهتمة بكِ كل هذا القدر؟

ـ لا لم أعلم بعد يا رويتر

ضحكت سعاد وقالت:

ـ سيأتي اليوم عريس ليتقدم لطلب يدك

ـ هل أنتِ متأكدة؟

ـ بلى.. كل التأكيد

ـ ولماذا لم يخبرني أحد بذلك الأمر؟

ـ لا أعلم.. أظن أن والدينا يكتفون بالتفكير فيما هو الصالح لنا لذلك هم يتصرفون على هذا الأساس دون الرجوع لنا.

قالت سعاد تلك الكلمات وأخذت بعضها وانصرفت في هدوء، أما عني فقد أشعلت تلك الكلمات بقلبي عاصفة من نيران متأججة؛ فأنا بالرغم من يقيني أن والديّ لا يريدون لي سوى الخير إلا إنني كنت أريد أن أشعر بأن لي رأي فيما يخصني، وأخذت أتساءل ماذا سيحدث إن لم أشعر بالراحة من جهة ذلك العريس.. تُرى هل سيغصبني عليه أحد؟ وظل ذلك السؤال يتردد بذهني إلى أن جاء ذلك العريس برفقة والديه، وطلبت أمي مني أن أقدم لهم المشروب بنفسي، وشعرت بالغرابة مما يحدث لأن ما حدث بذلك اليوم لم يحدث مثله عندما تقدم إليّ يوسف، وإلى هنا دق قلبي بقوة وأخذت أرجو الله في سري أن لا يغصبني أحد على الارتباط بمن لا يرتاح له قلبي.

***

# الفصل الثاني

لم أعرف  كيف آل بي الحال بقراءة الفاتحة على مجدي ذلك الشخص الذي لم أراه سوى مرتان، كانت المرة الأولى عند أولئك الناس التي كنت أداوي ابنتهم المريضة، وفي المرة الثانية كنت عندهم أيضًا ورأيته هناك وشعرت وكأن وجوده هناك مُدبر ليراني.

بعد أن قدمت له ولوالديه المشروب سمعت عبارات المديح بي وبأخلاقي وبعدها بلحظات تمت قراءة الفاتحة وسمعت صوت الزغاريط من قِبل أمي، وكان أكثر ما يغيظني هو أنه لم يأخذ أحد برأيي وكل ما كان يتردد وقتها أنه عريس مناسب جدًا ولا يوجد ما يعيبه، وشقته تبتعد عنا بشارعين فقط، وقد كان هذا مناسب بما يكفي من وجهة نظر أبواي.

وعندما فاض بي الحال ذهبت إلى أماني في منزلها أبوح لها وأشتكي  همي، وهناك استمعت لي أماني ووالدتها التي قالت:

- أنا أعرف مجدي يا رجاء، إنه شخص محترم ولديه شقة ملك ببيت العائلة قريب من هنا يقطن به والديه واخوته متزوجون بنفس البيت أيضًا

- ولكن لماذا اختارني أنا تحديدًا؟

- الله هو مقلب القلوب يا ابنتي، وكل ما أعرفه أنه كان خاطب فتاة من قبل ولذلك شقته جاهزة من كل شيء ولكن لم يحدث نصيب فانفصلا بعد فترة قصيرة

قولت من بين دموعي:

ـ وهل لأنه يمتلك شقة قريبة من هنا وشقته جاهزة يُصبح العريس المناسب، وما أدراهم إذا كنت أرتاح له أم لا؟

ـ يا رجاء أنتِ مثل ابنتي ومجدي لو تقدم لابنتي كنت وافقت على الفور فهو شخص لا يعيبه شيء ولا أهله، وإن كنت أعرف عنه شيء سيء لم أكن أتردد للتدخل في الأمر.

نظرتُ إلى أماني بدموعي التي لم تجف بعد وقولت:

ـ لا أشعر نحوه بشيء يا أماني ماذا أفعل؟

ضمتني أماني إلى صدرها تخفف عني وقالت لي:

ـ ربما تحبينه بعد الزواج مع الوقت والعشرة

ـ ليس هذا تفكيركِ يا أماني

تدخلت والدتها وقالت:

ـ كلنا يا ابنتي تزوجنا بهذه الطريقة، وكما ترينا نحن نعيش إلى الآن ويظلل على بيوتنا التفاهم والود والاحترام

ـ كنت أود أن أتزوج عن حب يا خالتي

قالت أماني:

ـ حاولي أن تقتربي منه في تلك الفترة قبيل زواجكما وأعطيه فرصة ليدخل قلبك، ربما تحبينه في تلك الفترة أو بعد الزواج.

نظرتُ إليهما وقد هدأتُ قليلًا، وحاولت أن أعمل بنصيحتهما لي.

في يوم الخطبة لم يستطع مجدي أن يأتي سوى بدبلة فقط نظرًا لظروفه المادية، فقد أنفق كل نقوده على شقته وتشطيبها وأثاثها، ولم يقف أبي عند ذلك بل أتى لي بالشبكة التي تليق بي حتى أشعر بالسعادة مثل أي عروس وكأن الشبكة هي التي ستشعرني بالسعادة، ويوم الخطبة جلست إلى جانب مجدي أحاول الابتسام في وجه الجميع ووجهه، والغريب أنه لم يشعر بما يدور بداخلي أحد سوى أماني التي حاولت أن تظل إلى جانبي وتبتسم في وجهي مشجعة إياي وكأنها تطمئنني وتقول:

- أنا إلى جانبك لا تقلقي.

مرت ستة أشهر سريعًا وتزوجت من مجدي وأنا في عمر التاسعة عشر في حفل صغير يجمع بين العائلتين وبعض الأصدقاء، كنت أتألق بفستاني الأبيض ويشع وجهي نورًا برغم الظلمة التي تحيط بقلبي وخوفي وقتها من المجهول، وفي يوم الزفاف انتظرت أن يعاملني زوجي بحب كما كنت أرى بالأفلام، وتغاضيت عن ما حدث بتلك الليلة والتمست في الأيام القادمة أن أعيش الحب مع زوجي ولكن ذلك للأسف لم يحدث برغم محاولاتي المستديمة؛ فقد كنت أعامله كما كانت أمي تعامل أبي؛ التي كانت تستقبله عندما يأتي من العمل بحب وعندما يغادر تودعه بابتسامة وقبلة رقيقة تحمل معنى حبها له فكنت أفعل مثلها إلى أن وجدت مجدي يستنكر تصرفاتي

تلك ويقول:

ـ ما تلك التصرفات العجيبة التي تفعلينها، أنا لا أحب تلك الأشياء

اندهشت من قوله وقولت:

ـ لقد كانت والدتي تفعل ذلك مع أبي فكنت أتصرف مثلها، لقد كنت أظن أن ذلك سيرضيك

ـ نحن في عائلتنا لا نفعل ذلك، وأنا في الحقيقة لا أحب ما تفعلينه، إنها تصرفات صبيانية.

صدمني قوله فتجرأت وسألته:

ـ لماذا تزوجتني يا مجدي؟

ـ تزوجتك لأنها سُنة الحياة

لم تكن تلك الإجابة التي أنتظرها فسألته:

ـ ألم تشعر نحوي بالحب؟

ـ ومتى كان سيحدث ذلك ونحن تعرفنا على بعض بسرعة وتزوجنا على الفور

ـ ولماذا اخترتني أنا بالذات، هل أعجبت بي مثلًا؟

ـ في الحقيقة أنا كنت سأتقدم إلى فتاة أخرى وقتها ولكن عندما رأيتك عائلتي وأنتِ تهتمين بابنة أخي ورأوا أنكِ ذات خُلق حسن رشحوكِ لي وقارنت وقتها بينكِ وبين تلك الفتاة وعندما كان منزلك أنتِ الأقرب منها وجدت الكفة

ترجح لكِ فتقدمت لطلب يدكِ على الفور.

أعترف أنه كان صريح معي ولكني كرهت صراحته، كم تمنيت أن يخبرني أنه أعجب بي او أي شيء من هذا القبيل ولكنه لم يفعل، ثم سألته التمس إجابة أخرى يرتاح قلبي لها:

- والآن بماذا تشعر نحوي بعد زواجنا؟

وجدته يقول بضحك:

- أشعر بالجوع، هيا احضري الطعام.

صدمني جوابه وتمنيت لو قال لي أنه أحبني حتى لو بالكذب، لم أكن أعرف كيف سأعيش معه حياتي دون حب فأنا إنسانة لا تعرف العيش دون حب؛ لذلك ظللت أبحث عن الشعور بالحب معه ولكن دون جدوى، وظلت حياتي معه يغلفها الرتابة، وقد كان ما يصبرني على حالي هو الذهاب يوميًا إلى أمي لأمرضها وأساعدها كما كنت أفعل قبل زواجي، وكان أبي جزاه الله خيرًا يعطيني مصروف شهري كما كان يفعل مع اخوتي بالرغم من أنني صرت في عصمة رجل، ولكن ذهابي إلى أهلي يوميًا أثار حفيظة مجدي وأهله وحدثت مشاكل كثيرة بيني وبينهم بسبب ذلك برغم أنني لم أقصر في منزلي أو مع والدته التي كنت أساعدها وأرى طلباتها برغم وجود ابنتها وزوجات ابنائها بنفس البيت، ولم يقف الأمر عند ذلك حيث أن خلال الخمسة أشهر الأولى من زواجي أخذ يتساءل مجدي وعائلته لمَ تأخر الحمل هكذا؛ مما أثار خوفي أنا

الأخرى برغم تأكيد أمي لي أنه ليس هناك داعٍ للقلق حيث لم يمر وقت طويل فما هي إلا بضعة أشهر قد مرت، وأخذوا جميعًا ينظرون لي بلوم وكأنني السبب في ذلك، ولم أتحمل لمزاتهم فذهبت لدكتور نبيل واستفسرت منه عن الأمر فاندهش مني وقال:

- ولمَ الاستعجال يا رجاء فلم يمر عليكما سوى بضعة أشهر؟!

- أعلم ذلك ولكن عائلة زوجي يتسائلون باستمرار عن سر تأخر حملي وكأن لي يد في ذلك

- عجبًا لأمرهم، ولماذا هذا الاستعجال؟

- لا أعلم ولكني أريد أن أرتاح من جهة ذلك الموضوع خاصّة وأنني بدأت أشعر بالقلق أنا الأخرى

- حسنًا.. في بادىء الأمر يجب أن تخضعي للفحص أنتِ وهو حتى نستطيع أن نضع أيدينا على المشكلة

- سأخبره بذلك وسنأتي للفحص بأسرع وقت.

وعندما جلست مع مجدي أطلب منه مرافقتي لنخضع للفحص معًا قال لي بعصبية:

- هل جننتِ، هل تريدين مني أن اخضع لذلك الفحص؟

- وما المشكلة في ذلك؟

- أنا ليس بي شيء، المشكلة من عندك أنتِ

- وكيف تأكدت من ذلك؟

- أنا بخير حال، اذهبي أنتِ لتري ما يمنعك من الإنجاب.

اضطررت للذهاب للخضوع للفحص وحدي، وعندما فحصني دكتور نبيل وأجرى لي التحاليل قال لي:

- أنتِ بخير حال وجاهزة للحمل في أي وقت، أين هو زوجكِ يجب أن يخضع للفحص مثلكِ هو أيضًا كما أخبرتكِ من قبل

- لقد حاولت معه ولكنه رفض، وقال لي أن أذهب أنا للفحص وحدي

- وهل هذا معقول، لماذا إذن هو متعجل لحدوث حمل؟ يجب أن يخضع للفحص هو أيضًا، دعيني أتحدث معه وأحاول إقناعه

- ليت ذلك يا دكتور.

وفي الأيام التي تلت ذلك لم أسلم من مجدي ولسانه؛ فقد كان رافضًا للفكرة تمامًا وكأنها إهانة له، ولم أسلم من أهله أيضًا وكلامهم عليّ وادعائهم أنني أرض بور، وابتلعت تلك الكلمات ولم أعرف ماذا أفعل، إلى أن رضي مجدي بعد محاولات مني عديدة أن يجلس مع دكتور نبيل الذي تحدث معه بطريقة لطيفة أقرب للمحايلة ويستميله لأن يخضع للفحص ، واستجاب مجدي في النهاية وتنفست الصعداء أخيرًا لعلي أرتاح من أسئلة الجميع السخيفة حول مسألة تأخر حملي.

عندما ذهبنا إلى الطبيب وخضع مجدي للفحص ندمِ أشد

الندم أنه لم يذهب وحده كما فعلت أنا؛ فقد صارحه الطبيب أمامي بأنه يعاني من مشكلة تمنعه من الإنجاب ولكن بعد خضوعه لكورس علاج مكثف ربما يحدث حمل وقتها، وصُدم مجدي بشدة ولم يصدق أن العيب منه هو وليس مني، وأشفقت عليه عندما رأيت الدموع بعينيه، وبعدها ظل حبيسًا بغرفته ولم يعد يتحدث مع أحد، ولم أجد مفر من الدخول والتحدث معه فقولت له:

ـ يا مجدي ليست هناك مشكلة فيما قاله الطبيب؛ فنحن أفضل من غيرنا لأنه على الأقل هناك أمل لدينا

نظر لي نظرة خاوية ولم يرد ولكن دموعه تحدثت عن حاله فأشفقت عليه وقولت له :

ـ نحن سنحاول معًا وبإذن الله سيحدث حمل وكل شيء سيكون على ما يرام

ثم ربت على يده وقولت:

ـ لا تقلق

تحدث مجدي أخيرًا وقال:

ـ حسنًا سأخضع للعلاج ولكن لديّ طلب منكِ

ابتسمت في وجهه وقولت:

ـ تفضل ما هو؟

ـ لا تخبري أحد أن لديّ مشكلة تعوقني عن الإنجاب وأن العيب مني أنا.

تفهمت موقفه الحرج وقولت:

ـ حسنًا لن أخبر أحد، سرك في بئر اطمئن.

تمنيت بعدها أن ما فعلته معه أن يشفع لي عنده لعله يغير من معاملته لي ويظلل علينا الحب بعد تلك المحنة ولكن ذلك لم يحدث مع الأسف؛ فقد تعمد مجدي أن يعاملني بجفاء ملحوظ وكأن لي يد فيما يحدث.

بعد ذلك أشاع مجدي أمام عائلته أننا لا نشكو من شيء وأن مسألة الإنجاب مسألة وقت وليس أكثر ولكن هيهات فلم أسلم من والدته ولسانها برغم أنني كنت أساعدها وأعينها في بيتها ولم أقصر معها في شيء، وقد كنت عندما أختلي بنفسي أدعو الله في كل وقت وكل حين أن يرزقني بالذرية الصالحة، وكنت أبكي في تلك الفترة كثيرًا.

خضع مجدي للعلاج المكثف وقد كان أثناء العلاج يُصاب بحالة من الضعف العام بسبب تأثير العلاج القوي، وانتظرنا بعدها إلى أن بدأ يستجيب للعلاج بالفعل وكل ذلك كان دون علم أحد بالطبع، وانتظرت أنا الخبر الذي كنت أتمناه بفارغ الصبر لعله يهون عليّ في ظل حياتي القحلة التي تفتقد للحب والمشاعر، وذات يوم شعرت ببعض الأعراض فذهبت إلى الطبيب ليفحصني وانتظرت بعد فحصي تشخيص الطبيب بفارغ الصبر.

***

## 4

# الفصل الثالث

عدت إلى منزلي وأنا أكاد أطير من الفرح، انتظرت قدوم مجدي بفارغ الصبر لأزفه الخبر السعيد قبل أي أحد آخر، وعندما وصل مجدي المنزل اندهش من ذلك الجو الشاعري التي أعددته من أجله وسألني بريب:

ـ ما كل ذلك، ماذا حدث؟

ابتسمت وقولت:

ـ هذا من أجل الخبر الذي أود أن أخبرك به.. أنا حامل يا مجدي

ـ حقًا!!

ـ بلى وفي الشهر الثاني

ـ حمدًا لله، سأصعد لوالدتي لأفرحها بذلك الخبر الجميل.

وتركني مجدي وصعد إلى والدته، وانتظرته طويلًا لنحتفل معًا ولكنه لم يأتي، ثم أخذت أتساءل في نفسي:

ـ لمَ يفعل معي ذلك، لمَ يبخل عليّ بالشعور بالحب والسعادة إلى جانبه؟!

وظللت أتساءل إلى أن سئمت ذلك، واستسلمت لواقعي المرير، وكنت كلما فاض بي الكيل أذهب إلى أماني

واجلس معها، وبرغم انشغال أماني بدراستها إلا إنها لم تتخاذل يومًا عن مساعدتي والسماع لي؛ فكانت بالنسبة لي الدواء الذي أتناوله لتسكين آلامي لأستعيد نشاطي وأواجه الحياة من جديد.

وذات يوم كنت اجلس معها ووجدتني أقل لها:

ـ لا تتزوجي يا أماني دون الشعور بالحب، فمقولة بعض الناس بأن الحب يأتي بعد الزواج ليست صحيحة في كل الأحيان

نظرت لي بإشفاق وقالت:

ـ أشعر بالذنب لأنني أنا وأمي شجعناكِ على الارتباط به

ـ ليست غلطتكما بل هي غلطتي أنا لأنني طاوعت الجميع ولم أصدق إحساسي وقتها.

اقتربت أماني مني واحتضنتني وقالت لي:

ـ ذلك الطفل القادم سيعوضك كل شيء يا حبيبتي، أدعو الله أن يعوضكِ به خيرًا

ـ يارب.

وبعد إعلان خبر حملي صمم مجدي على تركي للعمل فلم أعارضه، ولكن عندما طلب مني أن أقنن من زياراتي لمنزل أمي اعترضت على ذلك، ثم وافق على مضض أن اذهب إلى هناك على وعد بتقليل زياراتي قليلًا.

مرت الأيام واقترب ميعاد الوضع الذي كنت أتمناه بلهفة

لأضم طفلي إلى حضني وأعيش معه الحب الذي لم أعيشه مع زوجي.

وعندما حان يوم الوضع رافقتني أمي إلى المشفى وشقيق زوجي الأصغر أحمد، وكان زوجي وقتها بعمله ولم يستطع أن يحضر، وهناك بعيادة دكتور نبيل تعالت صرخاتي من شدة الألم وتحملت ذلك ولكن الذي لم أتحمله هو عندما قال لي الطبيب:

ـ للأسف يبدو أنكِ ستضطرين للخضوع لعملية لأن الطفل حجمه كبير وعنق الرحم لديكِ ضيق للغاية

استنكرت حديث الطبيب وأخذت أترجاه:

ـ أرجوك يا دكتور أفعل أي شيء المهم طفلي يولد سليم ومعافى

ـ سنفعل الازم لا تقلقي.

وأخذت والدتي تطمئنني، وبعد ذلك اتصلت بمجدي ليأتي ويقف معي ولكنه تحجج بالعمل وأنه لا يستطيع أن يأتي، واندهشت أمي منه ومن أفعاله، وأيضًا من أهله الذين اكتفوا فقط بالسؤال عن طريق الهاتف وقد كان شقيقه الأصغر فقط هو من كان معنا وظل إلى جانبنا عندما نقلني الطبيب إلى المشفى لاستدعاء حالتي للجراحة.

دخلت غرفة العمليات وأخذت أمي تدعو لي أن أقوم بالسلامة أنا وطفلي، ولم أكف أنا عن الدعاء لحظة والتضرع أرجو من الله أن أرى طفلي على خير.

خرجت الممرضة فسألتها أمي:

ـ كيف حال ابنتي وطفلها؟ طمنيني من فضلك

ـ بخير حال هما الاثنين

ـ حقًا.. حمدًا لله

ثم أعطت أمي مبلغ من المال للمرضة وقالت لها:

ـ تفضلي يا ابنتي، تلك هدية بسيطة لقاء البشارة التي بشرتني إياها.

ثم أسرع أحمد بالاتصال بمجدي ليزفه الخبر السعيد وقال له :

ـ لقد وضعت زوجتك على خير، والطفل بخير أيضًا

ـ وما نوع الجنين، ذكر أم أنثى؟

ارتبك أحمد فهو لم يكن يعلم بعد فقال:

ـ لا أعلم، لقد نسيت أن أسأل

ـ وهل ذلك شيء ينسى؟ أسأل يا أحمد وطمني أرجوك.

وعندما دخلت أمي لتطمئن عليّ وجدتها تسأل الممرضة:

ـ ما نوع الجنين، ذكر أم فتاة؟

ـ إنها فتاة مثل القمر.

نظرتُ إلى والدتي مستنكرة سؤالها وشعرت أن ذلك السؤال خلفه شيء ما خاصّة عندما رأيت والدتي ساهمة.

تأكدت ظنوني باليوم التالي عندما جاء مجدي في الصباح قبل عمله ليطمئن عليّ أنا وابنته في فتور واضح ثم أسرع بالذهاب وتحجج بالعمل، وعندما عدت إلى منزلي ولم أجد الاستقبال المرجو منه أو من عائلته شعرت بالخذلان وحاولت التغاضي عن الأمر ولكني لم أستطع إذ بادرت مجدي بالسؤال:

ـ ما بك لمَ أنت واجم هكذا؟

ـ ألا تعرفين السبب حقًا؟!

نظرت له مندهشة وقولت:

ـ لا.. لا أعرف

تنهد بعمق ثم قال:

ـ لقد كنت أتمنى أن تنجبين لي الولد وليس فتاة

ـ وهل كان ذلك برغبتي، إنها إرادة الله، ما ذنبي أنا؟

ـ بالطبع ذنبكِ، أنا لم أكن أريد الفتاة

هويت على مقعدي مصدومة من هول ما سمعته، حاولت أن أستعب ما يقول فلم أعرف، ثم قولت في النهاية:

ـ أتقول هذا بعد كا ما مررنا به، لقد كنا نحاول الإنجاب فترة من الزمن ونأمل أن يرزقنا الله بطفل، كان من الأولى أن تشكر الله على نعمته خصوصًا بعد كل ما مررنا به

قال بغضب:

- إلى ماذا تلمحين، هل تحاولين أن تنتقصي مني ومن رجولتي؟!

- بالطبع لا، ولكن كل ما في الأمر أنني كنت أرجو منك استقبالًا آخر، أن أرى بعينك السعادة لرؤية ابنتك، تلك النعمة التي أنعمها الله علينا

- عليكِ أنتِ وحدكِ.

قالها ثم غادر ولم أستطع أن أكبح دموعي أكثر من ذلك، شعرت بخيبة أمل كبيرة، وها هو قدوم ابنتي الذي كنت أنتظره بفارغ الصبر لأشعر بالسعادة أخيرًا؛ عكره لي زوجي وبدل سعادتي إلى حزن.

لم أندهش بعد ذلك لتلك المعاملة الجافة من حماتي، وقد فطنت أنها أيضًا تلومني على إنجابي للفتاة، وليس هذا فقط فقد كانت هي من تنفث السم في أذن مجدي وتجعله ينقلب عليّ، لم أحاول أن أقف عند ذلك طويلًا واكتفيت بفرحة عائلتي بي، حتى سبوع ابنتي حضره وجهزه لها أبي وأمي اللذان لم يتدخلا في الأمر وفضلا أن يمر ذلك الخلاف بيني وبين زوجي دون تدخل لعل تعود المياه إلى مجاريها، وكالعادة ظلت أماني إلى جانبي تحاول أن تخرجني من همي، وكانت سعيدة بفتاتي الصغيرة التي أطلقت عليها أمل لعلها تكون هي بارقة الأمل والنور الذي يفيض على حياتي.

بعد مرور عدة أشهر علمت بالصدفة من بعض الناس أن مجدي يجيء ويذهب مع زميلته بالعمل ويتحدثان

ويضحكان معًا كثيرًا أثناء العمل، وعلمت أنه يأتي لها بالهدايا أيضًا، ولم أرتاح لذلك الموضوع وعندما لاحظت عليه التغيير واجهته بالأمر ولكنه أنكر ذلك فقولت له:

- هناك من رآك بالفعل معها

- هي زميلتي بالعمل ولابد من تواجدنا معًا

- هل تكن ترضى لو كنت أنا مكانك وفعلت ذلك مع زميل لي

- قولت لكِ ليس بيننا شيئًا

- وما معنى تلك الهدايا التي تهاديها بها؟

- إنها مجاملة ليس أكثر

- عجبًا لك، وأين تلك المجاملات معي أنا، لماذا لا تفعل معي ذلك، لماذا تعاملني بجفاء وأنا زوجتك؟!

وكالعادة لم يرد عليّ وتهرب من سؤالي.

وباتت تلك المشكلة هي ما تدور عنها أحاديثنا لأشهر إلى أن فاجئته في يوم وطلبت منه الطلاق فشعر بالتهديد وقال:

- لماذا تكبرين الموضوع؟

- لأنه كبير بالفعل

تنهد بعمق ثم قال:

- أنا كنت أعرفها فقط لأنني كنت أبحث لأخي أحمد عن

عروس، وأشعر أنها مناسبة له

- عروس لأحمد؟!

- بلى فهو كان يريد أن أبحث له عن عروس مناسبة لذلك كنت أتقرب منها وأتحدث معها

- لا أستطيع تصديقك

- كما تشائين، ولكن الأيام القادمة ستثبت لكِ صدق حديثي.

وبالأيام التالية صدق حديثه بالفعل عندما ذهب هو وشقيقه مع والدهما لطلب يد تلك الفتاة لأحمد، ولم يأخذ الموضوع طويلًا حيث تمت خطبتهم وتزوجوا في خلال فترة قصيرة، ومرت الأيام بحلوها ومرها إلى أن ذات يوم كنت اجلس مع مجدي ثم وجدته يقول لي:

- رجاء.. أنا أريد أن ننجب طفل آخر

قولت بدهشة:

- ماذا.. ولكن أمل لازالت صغيرة؟!

- وماذا في ذلك؟ أنا لا أرى في ذلك مشكلة فمعظم الناس تنجب الأطفال في سن متقاربة وها هو قد فات عامان منذ ولادة أمل

- ولكن...

- ليس هناك ولكن، أنا أريد أن ننجب الولد في أسرع وقت

- ولمَ السرعة؟

- عائلتي أكلت وجهي، ولقد سئمت أسئلتهم الكثيرة عن متى سننجب الطفل الثاني

- ولكن يا مجدي تلك هي حياتنا نحن، ونحن من نقرر متى يكون ذلك

- وما أدراكِ أن تلك ليست رغبتي؟

- حسنًا كما تشاء.

لم أحاول أن أجادله أو حتى أثنيه عن قراره فقد كنت أعلم أن ذلك ليس فكره وحده؛ فهذا فكر عائلته التي لها جذور من الصعيد وتقدس إنجاب الذكور.

اضُطررت لإزالة وسيلة منع الحمل واستعددت للحمل مرة أخرة، ولكن حدث مثل المرة السابقة وتأخر حدوث الحمل واضُطر مجدي للخضوع للفحص على مضض وكانت النتيجة أنه يجب أن يخضع لنفس كورس العلاج المكثف مثل المرة السابقة، وأخبرنا الطبيب أنه كلما أردنا الإنجاب يجب خضوع مجدي لنفس كورس العلاج. استسلم مجدي للأمر الواقع وخضع للعلاج بالفعل وحدث حمل بعد فترة، ولم تندهش أمي عندما علمت بحملي فقد فطنت السر وراء استعجالنا، كنت أعلم أنها كانت في أشد الحاجة لي هي واخوتي وبحملي هذا كنت أتأخر على مساعدتهم قليلًا نظرًا لتعبي بسببه، وكنت أرى أماني بانتظام التي تخرجت من كلية الحقوق والتحقت بالعمل، ولكن بالرغم من ذلك لم تنشغل أماني عني يومًا.

شاء القدر أن يمرض مجدي مرض شديد أثناء حملي، واحتاج للخضوع لعملية جراحية وأثناء العملية اكتشف الأطباء أنه لديه عيب خلقي في الجهاز الهضمي وقد كان يستدعي ذلك حضور دكتور استشاري وعندما استدعوه بالفعل كانت فترة التعقيم قد انتهت والعملية تلوثت وحدث له شلل مؤقت في الأمعاء واستدعى وجوده بالمشفى شهر كامل خلالها لم اتركه لحظة، وعندما عاد إلى المنزل كان لابد من وجود ممرضة محترفة لتقوم بتمريضه وتبرعت أنا بتلك المهمة بحكم خبرتي السابقة في التمريض، وقمت بعملي معه على أكمل وجه وظللت إلى جانبه ولم أقصر معه في شيء، التمست بعدها أن يغير معاملته لي ولكن ذلك لم يحدث فقد كان على جفاءه لم يتغير.

مع اقتراب موعد الولادة كان ينتابني الشعور بالقلق فقد كنت أخشى أن أرزق بفتاة أخرى، أنا لم أكن بالطبع أعترض على رزق الله ولكن مجدي وكلامه وكلام والدته هو ما يؤثر عليّ بالسلب فجعلني ذلك أدعو الله أن يرزقني بالولد لعلني أحظى بنظرة الفرح بأعينهم ويكف الجميع عن تلك النظرة الساخطة عليّ وعلى ابنتي الصغيرة.

حان موعد الوضع وغبت بغرفة تحضير الولادة وعندما حانت اللحظة الحاسمة خرجت الممرضة وبيدها الطفل وناولته لأمي وقالت:

- مبارك عليكم، لقد أنجبت ابنتكم فتاة جميلة مثل القمر.

ونزل الخبر على الجميع كالصاعقة.

***

5

## الفصل الرابع

لم أكن أتخيل أن بإنجابي لزوجي بدل الطفل اثنان بعد مشكلته التي يعاني منها ووقوفي إلى جانبه أثناء مرضه أنه سيتعامل معي بذلك الشكل، لقد قابلني بفتور شديد بعد الولادة، وبلعت نظرات الازدراء بأعين حماتي وحمايا وحاولت أن أتحاشاهم، ولكن الذي لم أستطع أن أتحاشاه كان مجدي الذي لم يكف عن الشكوى والتمرد على قدوم تلك الطفلة، لم يكن يريد أن يسمع بكائها، لم يكلف حاله بحملها أو تقبيلها، لقد خشيت على الطفلة وهي بذلك السن الصغير أن يصلها الشعور بهذا الكره من جهته، وياويله من كره، لم تشفع محاولاتي مع مجدي في استمالته لحب الفتاتان ولا حتى عائلته التي كانت لا ترحب بوجودهم وكم أثر ذلك على نفسيتي، ولكن ما كان يصبرني على تلك الحالة هما أبواي اللذان لم يدخرا السعادة والفرحة لمرآهما كلما ذهبنا إليهم، وقد كنت أرى في عيون والدتي الشعور بالذنب لأنها كانت السبب في زواجي من مجدي
ومعاناتي معه؛ فكنت كلما رأيت تلك النظرة اقترب من والدتي واحتضنها وأربت على كتفها لأبين لها أنه لا بأس

وأنني في جميع الأحوال بخير حال، ولكنني لم أكن كذلك في الحقيقة بل كنت على النقيض تمامًا.

في إحدى الأيام اقترح عليّ مجدي أن أقدم على شقة في مشروع مبارك لعلها تنفعنا فيما بعد، وكنت أنا معي مبلغ من المال من لقاء النقود التي كان يعطيها أبي لي كل شهر، حجزت شقة بذلك المشروع بالفعل ودفعت مقدمتها وانتظم مجدي على دفع أقساطها حيث لم تعد معي نقود منذ أن اتحال أبي على المعاش والمعيشة أصبحت معه صعبة.

لقد كانت تلك الشقة هي أملي الوحيد فأنا كنت أريد بشدة أن أترك منزل عائلة زوجي والانتقال بعيدًا عنهم؛ فقد أصبح الجو خانقًا بعد اتهامهم لي بأنني أرض بور ولا انجب سوى الإناث، ولم ينتهي الأمر عند ذلك الحد فقد كان كلما حدث شي سيء لأحد أولاد اخوته كانوا يتهمونني أنا بأني السبب في ذلك وأنني حسدته، كنت أشعر بالظلم الشديد ومعاملة حماتي لي ولبناتي، كانت معاملة سيئة لم تكن تحمل ود لنا كما هو الحال بالنسبة لأولادها وأحفادها الآخرين.

بعد ذلك حدث أن مرض والد زوجي وحدثت له عدة جلطات وخضع للعلاج لفترة طويلة، وبعد أن تم نقله من المشفى إلى المنزل وبدأت حالته في التحسن بدأ يأتي له

هاجس غريب أن هناك من يشاغل زوجته وأنها على علاقة بأحد؛ كانت تستنكر اتهامه لها فقد بلغت من العمر أرذله ولكنه لم يكف عن الشك بها واتهامها طوال الوقت بل وقد وصل الأمر لقيامه بضربها، كانت فترة صعبة على الجميع إلى أن قضي الأمر وتوفاه الله وكانت صدمة لمجدي كبيرة نظرًا لتعلقه به، وكنت أنا إلى جانبه أحاول أن أشد من أزره ولم أقصر معه في شيء.

بعد مرور تلك الفترة العصيبة لمحت في عينيّ مجدي رغبته في إنجاب الطفل الثالث وأنا لم أكن مستعدة بعد لذلك أبدًا، كنت أخشى على الفتاتان وصحتي؛ هذا إلى جانب ذلك العذاب الذي كنت أذيقه في انتظار ميعاد الوضع وترقب ما إذا كان الجنين ذكر أم أنثى، لم أكن أريد معاودة تلك التجربة المريرة ولكن هيهات إذ أن ذات يوم وجدت مجدي يقول لي:

- أنا أريد أن ننجب، ولكن تلك المرة الولد

- وهل ذلك بيدي يا مجدي؟!

- نعم إنه بيدك، وكفاكِ إلقاء اللوم عليّ، يكفيني ما أكابده من أجلك أنتِ والفتاتان ولوم عائلتي على ذريتكِ

- وهل هي ذريتي وحدي، ما هذا الحديث يا مجدي؟!

- لقد أخبرتكِ بما عندي لذا استعدي وتلك المرة سنفعل كل شيء ليأتي الولد.

سمعت له وأنا أكاد أجن من حديثه، لم أكن أعرف كيف

أرفض ما قاله أو ماذا أفعل ولم أشعر بقدمي وهي تسوقني إلى منزل أماني لأراها وأبوح لها بما في قلبي، وهناك استقبلتني والدة أماني التي أخذت تشكو لي منها لرفضها العريس الأخير دون مبرر برغم توافر به كل شيء فوعدتها بالتحدث معها، وعندما جلست مع أماني أخذت تهون عليّ الأمر وتقول:

- اصبري يا رجاء فما أنتِ فيه ابتلاء وسجازيكِ الله خيرًا على صبرك عليه

- لقد سئمت تدخل عائلته في أمرنا، وأخشى أن لا أنجب تلك المرة أيضًا الولد ويحدث مثل المرتان السابقتان

- تفائلي خيرًا يا رجاء ولا تخشي شيء

- كم أتمنى أن أبتعد عن كل ما يحدث واذهب في مكان بعيد بالفتاتان لنعيش وحدنا بعيدًا عن تلك الضغوط

- وهل أهون عليكِ أن تتركيني وحدي

- صدقيني أنتِ وعائلتي من يهون عليّ كل ما يحدث معي ولولا وجودكم في حياتي لكنت استسلمت للاكتئاب

- لا تقولين ذلك يا حبيبتي، نحن سنظل إلى جانبكِ ولن نتركِ أبدًا

- أنا لا أعلم من دونك ماذا كنت سأفعل

ثم تذكرت شكوى والدتها منها فقولت لها:

- أخبريني يا أماني لماذا رفضتِ ذلك العريس الأخير، إن

والدتكِ مستاءة كثيرًا بسبب ذلك الموضوع

ـ لا أريد أن أتزوج زواج صالونات، أريد أن أشعر بالحب، أريد أن أعرف من يتزوجني وأعرف طباعه.

نظرتُ لها مليًا وشعرت أن مشكلتي مع مجدي ربما أثرت عليها بشكل أو بآخر وقد تأكد لي ذلك فيما بعد عندما رفضت أكثر من عريس تحت أنظار والدتها المسكينة التي كانت تريد أن تفرح بها مثل أي أم.

كالعادة رضخت لمطلب مجدي واستجبت له وذهبنا إلى الطبيب للاستعداد لمحاولة الإنجاب من جديد، وخضع مجدي لكورس العلاج إياه وانتظرنا حدوث الحمل، كان مجدي ينتظر ذلك الحمل بلهفة شديدة لذلك عندما أخبرته بأنني حامل بالفعل كاد أن يطير من الفرحة وكأنها المرة الأولى، أخذتُ أدعو الله وأرجوه أن يرزقني بالولد حتى يرتاح مجدي وعائلته ويتركونني لحالي، كانت فترة صعبة للغاية عليّ كثيرًا ولكن وجود أهلي وأماني في حياتي هم من جعلونني أشعر بالقوة قليلًا.

حان ميعاد الوضع ودخلت المشفى وفي حين كنت أنا أعاني من آلام الوضع كان مجدي ووالدته يدعون بأن يكون الطفل تلك المرة ولد.

دخلت أنا غرفة الولادة وكأنها المرة الأولى لي وكان قلبي يخفق بقوة وكنت ارتعش برغم دفء الجو من حولي، أغمضت عيني ودعوت الله أن يكون معي وإلى جانبي

وأن يرزقني بالولد.

خرجت الممرضة من غرفة العمليات تحمل طفلي لتبشر أمي، ثم أعطت الطفل لها وقالت:

- مبارك عليكم.

نظرت لها أمي وسألتها بلهفة:

- ذكر أم أنثى؟

مسكينة هي أمي فقد حملت الهم معي ورافقها الخوف والقلق هي الأخرى من أن يكون الطفل فتاة.

عدت إلى منزلي وأنا أحمل أذيال الخيبة، لم أشعر بالفرحة بقدوم طفلتي العزيزة فلم يمهلني أحد لأفعل ذلك وتكرر ما حدث بالمرتان السابقتان وكأن لي دخل بذلك، استنفدت كل طاقتي وقتها في مواجهتم وكأنني متهمة، وساءت حالتي كثيرًا وكدت استسلم لنوبة اكتئاب حادة، ولكن كانت نظرة واحدة من ابنتي كفيلة بإزاحة كل همومي، وأطلقت على صغيرتي نعمة لأنها في نظري نعمة من عند الله أنعم عليّ بها.

انشغلت بعد ذلك بالتحضير لزفاف أختي الصغرى فكنت معها باستمرار أساعدها واذهب معها لتشتري كل احتياجاتها، وعندما حل يوم زفافها كنت سعيدة بشدة

وأخذت أرقص معها ومع زوجها، ولاحظت نظرات مجدي الغريبة لي وعندما عدنا إلى المنزل فطنت لسر تلك النظرات حيث فاجئني بقوله:

- كيف أتتكِ الجرأة لترقصين هكذا اليوم؟!

اندهشت من سؤاله فأنا لم أفعل شيء خاطىء وقولت:

- لقد رقص الجميع مع العروسين فرقصت معهما أنا أيضًا

- تقصدين رقصتي معه هو

- هل تقصد زوج أختي؟ إنه مثل أخي الأصغر يا مجدي، هل تغار منه؟

- بلى بالطبع، أنا لا أفهم كيف لغيتِ وجودي هكذا ورقصتِ معه بهذا الشكل المهين

- مهين!! أنا لم أرقص بالمعنى الحرفي للرقص.. لقد كان يوم زفافهم وكنت أجاملهم ليس أكثر.

ثم تركني وهو غاضب وقد ظننت أن الموضوع انتهى عند ذلك الحد ولكني كنت مخطأة؛ فقد توالت خلافاتنا حول نزولي من المنزل وذهابي إلى والدتي، كان يحذرني من التواجد هناك إذا كانت أختي الصغرى وزوجها هناك أيضًا، ولقد حاولت مجاراته ولكني لم أستطع فقد سئمت شكه في ونشبت خلافات بيننا كثيرًا، وذات يوم كنت أشكو إلى زوجة أخيه وأخبرتها أنني سئمت المعيشة بذلك الشكل فأخذت تهدئني وتقول:

- حاولي أن تتأقلمي معه وتطاوعينه؛ فما يمر به ليس سوى هاجس يراوده كما كان يراود والده قبيل وفاته

- ولمَ الآن تحديدًا يحدث ذلك أنا لا أفهم؟!

- إنه شيء غريب بالفعل

- ثم إنني سئمت عدم شعوره بي ومعاملته الجافة تلك، لماذا هو قاسي القلب هكذا؟!

- هو لم يكن هكذا طوال الوقت

- كيف؟

- هل تعلمين لماذا ترك زوجكِ خطيبته السابقة؟

انتبهت لحديثها وسألتها بلهفة:

- ما السبب أخبريني؟

- لقد كان زوجكِ يحب خطيبته السابقة

عندما رأت الدهشة تعلو وجهي استطردت:

- لا تندهشي فهو إنسان في الأخير ويمكنه الشعور بالحب، ولكن لم يكن يستطيع الإفصاح عن مشاعره، وقد كرهت خطيبته ذلك ولم تهضم جفاءه، وعندما رأت شقيقه الأوسط وكيف يتعامل مع الجميع بحلو الكلام والمشاعر الفياضة فقد كان على النقيض تمامًا لذلك مالت نحوه هو وبعد ذلك لم تجد مفر من ترك مجدي

- ماذا تقولين، أنا لا أصدق؟!

- هذا ما حدث

- مجدي شعر بالحب نحو أحد من قبل!!

- لكِ أن تتخيلي أن الوحيدة التي شعر نحوها بتلك المشاعر لم تبادله إياها وأيضًا فضلت شقيقه الأصغر منه عليه

- الآن فهمت لمَ أصبح ذلك الإنسان الذي هو عليه الآن

- حاولي تفهم وضعه وتحملي من أجل الفتيات

- أنا أتحمل بالفعل الكثير من أجلهن.

بعد حديثي هذا معها حاولت أن أتأقلم مع مجدي ومعاملته لي وهواجسه، ولكن ساءت معاملته لي أكثر وعندما فاض بي الحال طلبت منه الطلاق فرفض ذلك، وبعدها زاد الأمر عن حده فأصبح يغير عليّ من الجميع سواء من أزواج اخوتي أو من اخوته هو نفسه.

وذات يوم جاء لي في المنزل ابن أخي ليعطيني شيء ما وعندما جاء مجدي من العمل ووجده استشاط غضبًا، صرفت ابن أخي ثم سألته:

- ما بك، لمَ استقبلت ابن أخي هكذا؟!

- ألا تعلمين حقًا؟

قولت بدهشة:

- أعلم ماذا!!

- كيف تستقبلينه هنا في المنزل في غيابي؟!

- إنه ابن أخي ولا يجوز لي وأيضًا إنه بالمرحلة الإعدادية يا مجدي

- أليس رجل؟

- إنه مجرد فتى صغير

- هذا صغير.. ألم تري خط الشنب في وجهه؟

- لا هذا كثير لقد فاض بي الكيل، أنا لا أفهم ماذا تريد مني بالضبط؟

- أريدك أن تنتقبي ولا يراكِ أحد غيري؛ حتى أهلك وأهلي أيضًا

- ولكني لا أريد أن انتقب؛ فأنا ملابسي محتشمة بالفعل ولا أرى بها ما يُخل، ولا أستطيع أن ابتعد عن أهلي

- هل ستعصي أمري؟

- إذا أردت أن تُطاع فأمُر بما يستطاع

- هذا هو آخر كلام عندي

- وأنا لن أستطيع العيش معك على هذا الحال، لقد تحملت جفائك ومعاملتك لي وعدم معاملتك للفتيات كأي أب يحب ابناءه، أنا سأترك لك المنزل

- هل تريدين الذهاب عند أهلك ليخلو لكِ الجو هناك وترين أزواج اخوتك؟

- لا هذا يكفي، أنا لن أتحدث معك بعد الآن، أنت أصبحت لا تطاق.

وبالفعل أخذتُ الفتيات وذهبت إلى أبي، أخذت أشكو له مما يفعله مجدي واندهش هو منه ومن أفعاله وقال:

- هل يشك بكِ وأنتِ مثال للمرأة العفيفة الطاهرة، ألا يعلم أنتِ ابنة من وكيف نشأتِ بين عائلة متدينة تتقي الله في أفعاله

- هو لم يعد يرى شيئا سوى أنني خائنة؛ فقد أعماه الشك يا أبي ويسبني بأفظع الشتائم والجيران يسمعونه ويتسائلون عن سبب ثورته تلك

- أعوذ بالله، هل جُن؟!

- لقد صبرت عليه كثيرًا يا أبي ولكن فاض بي الكيل، أنا أريد الطلاق منه

دخل أخي الأكبر وعندما سمع تلك الكلمة قال:

- هل تريدين الطلاق وأنتِ معكِ ثلاثة فتيات، ألا تفكرين في مستقبلهم؟

- على العكس أنا أفكر في مستقبلهم كثيرًا لذلك أنا أطلب منه الطلاق، أخبرني كيف سيعيشون في تلك البيئة الشائكة؛ أب يشك في زوجته ويعاملهم معاملة سيئة جافة لمجرد أنهم فتيات وليسوا ذكور!!

هذا غير معاملة عائلته لنا واتهامهم لي بأنني أرض بور،

ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فهم أيضًا يتهمونني أنني أحسد ابنائهم الذكور وكلما حدث معهم  أمر سيء يتهمونني أنني السبب في ذلك

قال أبي: لا يا ابنتي هذا يكفي لقد تحملتي كثيرًا وأنا لن أتركك تتعرضي لهذا العذاب أكثر من ذلك، لقد كنت من قبل أثنيكِ عن هذا القرار من أجل أطفالك ولكن الآن لم يعد هناك حل آخر

قال أخي: ولكن يا أبي لم يسبق أن تطلقت فتاة من العائلة من قبل

ـ لا يضر إن كانت هي الأولى، المهم أنها لا تضغط على أعصابها أكثر من ذلك يكفي مامرت به.

نظرتُ لأبي نظرة إعجاب طويلة، لم أكن أتخيل أن سينصرني أحد ويشجعني على قراري بطلب الطلاق لذا تشجعت وتشبثت به وقررت أن أنفذه حتى بعد أن أتى مجدي وحاول التحدث مع أبي، ولكن أبي عاتبه على ما يفعله معي ونهره بشدة وأخذ يقول له:

ـ ابنتي تلك أنا ربيتها هي وأخوتها أفضل تربية لن تأتي أنت الآن لتشكك في ابنتي وأخلاقها، اتركها لحالها وابتعد عنها، يكفي ما رأته منك ومن أهلك

وسمعت مجدي يقول:

ـ يا عمي هي السبب فهي لا تسمع لي ولا تنفذ كلامي، ألست زوجها ووجب عليها طاعتي؟

- هي لم تعصيك في شيء، ولكن أنت طلباتك غير مقبولة بالمرة، اتقي الله فيها يا مجدي وكفاك ظلم لها

- أنا لا أعرف ماذا أفعل لها؟

- طلقها يا مجدي واتركها لحالها

- ماذا؟!

- هذا أفضل لك ولها.

بعد ذلك حاولت عائلته التدخل للصلح بيننا وأخذوا يطلبون مني الصبر عليه بحجة أن ما به ليس بيده وأنه ربما تعرض للسحر أو ما شابه، ولكنني لم أسمع لهم ولم يعد في استطاعتي أن التمس له العذر فيما يفعله معي.

***

6

## الفصل الخامس

جلست عند أبي عشرة أيام خلالها لم أرتاح أنا أو الفتيات؛ فقد كان اخوتي يأتون باستمرار بأولادهم، ولم تكن الفتيات يأخذون راحتهم أو ينامون بشكل جيد بسبب الدخول والخروج عليهم بحجة دخول الشرفة وخلافه، في إحدى الأيام نظرت إلى فتياتي وسألت نفسي:

- هل إذا تطلقت من مجدي وجلست هنا عند أبي سترتاح الفتيات؟

كان الرد بالطبع لا؛ فكل يوم يأتي إحدى اخوتي بابناءهم ويجلسون ويتسامرون وينتشرون بالمنزل كله، كيف إذن سترتاح الفتيات هنا وخاصّة عندما يكبرون ويجب أن تكون لديهم خصوصية.

وجدتني أفكر أنني يجب أن أعود إلى منزلي وأرضخ لطلبات المجدي المستحيلة، ولم آخذ كثيرًا من الوقت وعدت إلى منزلي تحت أنظار أبي المندهش من أمري وأنظار مجدي أيضًا الذي شعر بالزهو بنفسه لأنني عدت إليه دون أدنى عناء من جانبه.

عدت إلى المنزل واضطررت لاستبدال ملابسي كلها واكتفيت بارتداء عباءات سوداء فقط، وقللت ذهابي إلى منزل أمي وتعمدت الهروب من رؤية أزواج اخوتي وأشقاء زوجي، وبالرغم من ذلك ظل مجدي على هاجسه وكان يعاملني معاملة جافة وكنت كلما حاولت التحدث معه أو الاقتراب منه يبتعد عني، كانت لمستي له وكأنني عقرب يلدعه وذلك أهانني بشكل كبير. حاولت بعد ذلك أشغل نفسي بفتياتي ومذاكرة الدروس معهم، كنت آخذهم كل يوم خميس لنذهب عند أماني ونقضي اليوم بأكمله معها، وكنت آخذهم كل شهر بصحبة أماني أيضًا لنذهب في نزهة، لم يكن مجدي يحاول أن يأتي معنا أو حتى يقترح أن يأخذنا هو في نزهة.

حاولت الصبر والتماسك من جانبي ومجاراة طلبات مجدي وتحكماته في؛ فكنت تحت ضغط كبير إلى أن بدأت تحدث معي أشياء غريبة، كنت أرى خيالات بالمنزل

تجىء وتذهب ومع الوقت تحولت تلك الخيالات لأشكال مخيفة وبدأت تتحدث معي، كنت أشعر بالرعب وعندما أخبرت مجدي كان يضحك مني ويقول لي:

- إنها مجرد خيالات فقط لا تقلقي

- صدقني يا مجدي ليست خيالات أنا اراهم وأشعر بهم وكأنهم حقيقة، أنا خائفة حقًا

- أنا أرى أنكِ في حاجة لشغل نفسك بشيء فمن الواضح أن الفراغ الذي تعيشين به هو السبب في ذلك.

تلك الفترة كانت صعبة عليّ للغاية خاصة أنني كنت أحاول إخفاء شعوري بالخوف من أجل الفتيات وأخذت أدعو الله كثيرًا أن يخرجني من تلك الحالة ويزيح الهم عني، كنت أدعو الله في كل وقت وكل حين إلى أن استجاب الله لدعائي وذات يوم وجدت مجدي يقول لي:

- أنا سأسافر للعمرة

- جيد مبارك عليك

- وأنتِ ستأتين معي حتى تمرضينني؛ فأنا لازلت متعب كما تعلمين وأحتاج إليكِ هناك.

لم أقف عند جملته كثيرًا أو كلمة والدته وقتها لي أنني ذاهبة معه فقط كممرضة له ليس أكثر؛ فكل ما كنت أريده أن اذهب لأداء العمرة وأرى الكعبة لعلني أرتاح قليلًا وتهدأ نفسي.

سافرت إلى بيت الله الحرام وتركت فتياتي برفقة أمي، وهناك عندما رأيت الكعبة سكنت نفسي واطمئنت، قضيت هناك أسعد ايام حياتي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وعندما عدت إلى منزلي عدت كانسانة جديدة ولدت من جديد والأشياء التي كنت أراها وأخاف منها تكاد تكون انعدمت. بعدها حاولت أن أعيش حياتي برفقة الفتيات برغم المضايقات المزعومة التي كنت أتعرض لها باستمرار.

ذات يوم جاء لنا إنذار بأنه يجب أن نقطن بتلك الشقة التي حجزنا بها بذلك المشروع وإلا سيسحبون منا إياها، وقتها اقترحت على مجدي أن ننتقل إليها ونثبت أننا نقطن بها ولكنه لم يوافق لأنه لم يريد الابتعاد عن منزل العائلة وأيضًا لقربه من عمله فقولت له:

ـ حسنًا سأذهب أنا والفتيات ونجلس هناك وأنت تأتي لنا لتجلس معنا كلما استطعت ذلك

فكر قليلًا وقال:

ـ أخشى أن تجلسون هناك وحدكم

ـ هذا هو الحل الوحيد وإلا سنفقد الشقة

ـ اتركيني لأفكر في الأمر.

بعدها لم أصدق نفسي وأنا انتقل أنا والفتيات إلى تلك الشقة، جلسنا وحدنا بعيدًا عن تلك المضايقات أخيرًا، كانت فترة هادئة في حياتي بعيدة عن الضغوط وقد استجاب الله لدعائي بأن بدأت أحيا بسلام وسط الفتيات،

كنت أنظر لهم وأنا أرى نفسيتهم أفضل، لم يعد أحد يستقبلهم استقبال فاتر أو ينظر لهم وكأنهم قد أتوا للحياة غلطة؛ فقد كانوا نعمة لم يقدرها أحد سواي، نعمة أنعمها الله عليّ ليعوضني الشعور بالحب الذي كنت أفتقده، لقد كان حضن إحداهن لي يكفي لمداواة ما رأيته من مآسي في حياتي كلها، كل ذلك لم أكن أشعر به إلا عندما ابتعدت أخيرًا عن مصدر الكآبة الذي كان يحيط بي.

تلك الفترة الهادئة لم تستمر طويلًا مع الأسف حيث لم يمر عامان ووجدت مجدي يقول لي ذات يوم:

ـ نحن لم نعد نحتاج لتلك الشقة.. علينا أن نبيعها

لماذا تريد بيعها الآن؟

ـ أمي تقول لي أنني الآن لديّ شقتان وأولاد أخي أولى بشقتنا هناك ليتزوج أحدهم بها

ـ ومن أين أتت هذه الفكرة؟

ـ هي تخشى أن أعطي الشقة لإحدي الفتيات لتسكن بها مع زوجها

ـ الآن فهمت

ـ هل علمتِ الآن لمَ أريد بيع هذه الشقة

ـ حسنًا فليكن نبيعها، ولكن ماذا ستفعل بنقودها؟

لم يرد وأخذ يفكر طويلًا.

كانت لفتة طيبة من مجدي بعد أن باع الشقة أن أودع

نقودها باسم الفتيات كلٌ سواء بالبنك، ارتاح قلبي وقتها كثيرًا، ولكن مازاد همي هو عودتي النهائية إلى منزل عائلة مجدي وقد عُدت لمضايقاتهم من جديد وانتهت استراحتي النفسية التي لم تطل كثيرًا.

ذات يوم وجدت مجدي يقول لي:

- أريد أن نحاول الإنجاب مرة أخرى

نظرت له غير مصدقة وقولت:

- ننجب مرة أخرى؟! أنا أرى أن نكتفي بما رزقه الله إيانا ونحمده على نعمته

- ولكني أريد الولد

- هل أنت مُصر على ذلك؟

- بلى وبشدة

- وماذا إذا أنجبت فتاة أخرى؟

- لا فتلك المرة سنأخذ احتياطاتنا

نظرت له بدهشة وقولت:

- كيف ذلك؟

- لقد اقترح عليّ أحد الأصدقاء أن نخضع لعمل عملية لتحديد نوع الجنين

- ولكن هذا تدخل منا ويخالف شرع الله

- ليس هناك ما يغضب الله في ذلك

- هل سألت أهل الدين؟

- لا.. لماذا أسألهم وما أفعله ليس به ما يغضب الله

- سأسأل أنا واتأكد إذن من ذلك.

ولم أكذب خبر وسألت وعلمت من أهل العلم أن تلك العملية حرام بالفعل لأنها تدخل منا في أمر الله، وعندما واجهت مجدي بذلك قال لي:

- أنا أريد أن أنجب الولد بأي شكل

- هذا ليس كلامك وحدك أليس كذلك؟

- وما المشكلة إن كان ذلك طلب أمي واخوتي، إنهم يريدون رؤية ابن لي من صلبي يحمل اسمي ويرثني، لقد اكتفيت منكِ ومن الفتيات إنهم يمصون دمي فقط

- تلك الفتيات نعمة من الله وأنت مع الأسف لا تقدرها

- أنا أريد أن ننجب الولد الآن هل ستعترضي وتعصينني؟

- أنا لن أغضب الله من أجلك، إن أردت أن تنجب الولد بطريقتك تلك تزوج من أخرى.

سكت بعدها ولم ينطق فأنا كنت متأكدة قبل منه أنه لن يستطيع الزواج من أخرى بسبب حالته الصحية؛ فهو عندما كان يخضع لذلك العلاج عند الإنجاب في كل مرة كان يصبح شديد الضعف وذلك لن تستعبه امرأة أخرى غيري؛ هذا بالطبع غير أزمته الصحية الأخيرة. في هذا

الوقت زادت الخلافات بيننا ولم أعد أستطيع التحمل فكنت أذهب لأمي أشكو لها وأبكي وعندما أراها وهي تبكي من أجلي دون حيلة منها أكف عن البكاء على الفور وأحاول أن أبين لها أنني قوية رأفة بحالها.

ويشاء القدر أن أجد مجدي ذات يوم مهموم وإذا بي أعلم أنه خضع لفحص وتحليل ليعلم لماذا لا يستطيع إنجاب الذكور بسهولة وكانت النتيجة أن قدرته الإنجابية لا تعطيه فرصة لذلك فهو قادر فقط على إنجاب الإناث أما بالنسبة الذكور فذلك صعب ونسبته ضعيفة للغاية.

بعد ذلك جلس معه دكتور نبيل وتحدث إليه ليثنيه عن تجربة تلك العملية لتحديد نوع الجنين برغم استحالة الوضع فقال له:

- وما أدراك يا مجدي أنه عندما يأتيك الولد أن لايكون مريضًا فتحمل همه أو يكون معاق فيشقيك؟

- تلك هي أمنية حياتي الوحيدة وأنا أريد تحقيقها

- وهل تستطيع الجزم بنجاح تلك العملية وصرف عليها كل ما تملكه هباءًا؟

- لعلها تنجح وأنجب الولد، أهلي يريدون رؤية ولد لي بشدة فأنا ابنهم الأكبر

- لماذا لا تخرص ألسنتهم أنت، لماذا تسمع لهم وتتركهم يتحكمون بك وبمستقبل أسرتك، لماذا تتعس نفسك بنفسك؟! حاول عيش حياتك في ظل أسرتك واشكر الله

على نعمته وارضى بقضائه حتى يرزقك أكثر ويمن عليك بكل خير.

استمع له مجدي دون مجادلته وظل صامتًا فترة ولم يتحدث بذلك الموضوع ولكن جفاءه في معاملته للفتيات ولي كان ملحوظ للغاية.

7

## الفصل السادس

كبُرت فتياتي وقد كانوا متفوقين في دراستهم ومتنبأ لهم بمستقبل باهر، عندما انتهت أمل من الثانوية العامة كانت تريد الالتحاق بالجامعة وإذا بوالدة مجدي تشجب ذلك بحجة أنه ما الداعي لتعليم الفتيات طالما مسيرهم يتزوجون ويمكثون في بيوتهم، وكان مجدي موافق ومصدق على كلامها، وفي ذلك الوقت توشحت بالقوة وسيطر عليّ إصرار عجيب أن اتصدى لهم جميعًا وأسعى لأن أحقق حلم الفتيات والذي لم أستطع تحقيقه أنا عندما كنت في مثل عمرهم.

التحقت أمل بكلية الآداب قسم لغة عربية وكنت سعيدة بها جدًا، كنت أذاكر وأقرأ معها دروسها وكأنني أكمل تعليمي معها؛ حيث لم أحظى بتحقيق حلمي بالاتحاق بالجامعة ولكني عوضت ذلك مع فتياتي.

وبعد أن انتهت أمل من دراستها الجامعية التحقت بالعمل بمدرسة كمدرسة وهناك شاهدها أيمن للمرة الأولى وأعجب بها كثيرًا، ثم تقدم لطلب يدها ووافقنا أنا ومجدي عليه وجهزتها بأفضل جهاز وأذكر أن حماتي وقتها كانت تلوم زوجي على ما صرفه على جهاز ابنته وكانت تبكي وتولول كمن توفى لها أحد وتقول :

ـ مسكين يا بُني الفتيات مصوا دمائك ولم يبقوا لك شيئا.

كانت تلومه على صرفه على الفتيات وكأنه يصرف على أناس لا يعرفهم، كنت أستنكر حديثها ذلك وتدخلها في حياتنا وأمرنا، ومنذ زواج أمل وأنا كنت مشغولة معها وأساندها وقت حملها ومن ثم ولادتها وإذا بي في وسط ذلك أفوجىء بخبر وفاة أمي الذي نزل عليّ كالصاعقة وسيطرت عليّ حالة غريبة أول أسبوع من وفاتها فلم أكن أتحدث مع أحد ولم أبكيها، كانت الناس تأتي لتعزيني فيها وأنا كان مسيطر عليّ الصمت، كنت أود أن أصرخ أو ابكي ولكني لم أستطع فعل ذلك، سيطر عليّ الشعور بالذنب والتقصير من ناحيتها لأنني انشغلت مع ابنتي في زواجها وحملها وأخذت أدعو الله أن تسامحني أمي على تقصيري معها وحاولت التغلب على ضعفي وتوشحت بالقوة من أجل أبي المريض الذي أصبح من بعد وفاة أمي وحيدًا، ومن أجل الفتيات أيضًا اللاتي تأثرن كثيرًا بحالتي ولا أنكر أن لهم فضل كبير عليّ لأنهم أعادوني للحياة من جديد وأكملت مسيرتي معهم.

كانت منة ابنتي الوسطى عندها مشكلة في عينيها اليمنى

ولا ترى بها جيدًا فكان ذلك يؤثر على تركيزها أثناء المذاكرة لذلك لم تحظى بمجموع كبير والتحقت بكلية الحقوق، وقد تقدم لها أحمد الذي رآها مرة واحدة فقط فأعجب بها واختارها كشريكة لحياته على الفور. أذكر تلك الأيام عندما كنا بشهر رمضان المبارك وكنا نصلي المغرب والتراويح بالمسجد، وذات يوم كنا قد انتهينا من الصلاة ونغادر من المسجد وكان هو يغادر المسجد أيضًا بعد أن قام بأداء صلاة استخارة بشأن مسألة زواجه قد حانت أم لا؛ فإذا به بعد أدائه لصلاته يرانا ونحن نغادر من المسجد فمشى خلفنا وعرف مكان منزلنا وسأل علينا ثم يشاء القدر أن يرى منة بالجامعة صدفة فقد كان زميلها بنفس الجامعة ووقتها حدد أمره على الفور، وتقدم من فوره لمنة وقضي الأمر وتم زواجهما.

وقد تزوجت كل من أمل ومنة بعد إتمام الشهادة الجامعية عدا نعمة آخر العنقود.

كانت نعمة يشهد لها مدرسيها بتفوقها الملحوظ وبالسنة الثانية بالثانوية العامة أتت بمجموع كبير ونصحني الناس بأن أرقيها لأحفظها من العين، كنت سعيدة وفخورة بها كثيرًا ولكن حدث ما أثار قلقي وتبدل حالي من الفرح للحزن.

ذات يوم أتت نعمة وقالت لي:

ـ ماما.. هناك ورم صغير شعرت به بثديي أثناء فحصه كما عودتني

خفق قلبي وقولت:

- هل أنتِ متأكدة؟

- بلى.

وتأكدت من الأمر بنفسي وذهبت من فوري بها إلى دكتور نبيل، وهناك قام بفحصها وطلب منا خضوعها لإشاعة وبعض التحاليل وفعلنا ذلك بالفعل وانتظرت النتيجة بفارغ الصبر، وحاولت أن لا أبين قلقي لنعمة حتى لا أنقله إليها، ثم ظهرت النتيجة وطلب دكتور نبيل رؤيتي وقال لي:

- انظري يا رجاء.. ذلك الورم حميد ومن وجهة نظري لا يحتاج لعملية

- وهل هناك علاج معين يجب أن تخضع له؟

- علاج ابنتك الوحيد هو أن تتزوج في أسرع وقت ونأمل مع زواجها ومع تغير الهرمونات خصوصًا مع الحمل والرضاعة أن يتوقف نشاط الورم

- تتزوج بذلك السن الصغير.. إنها لازالت بالثانوية العامة؟!

- وما المشكلة في ذلك؟ يمكنها ان تكمل تعليمها بعد الزواج، هناك أناس كثر يفعلون ذلك

- ولكن ماذا عن حلمها؛ فهي تريد أن تصبح طبيبة؟

- وما المشكلة في ذلك؟ لا تقلقي يا رجاء وتوكلي على الله، وأنا من جهتي سأرشح لكِ طبيب متخصص ليفيدك

في الموضوع أكثر وربما يشير عليكِ بشيء آخر.

لم أكذب خبر وذهبت بنعمة لطبيب آخر، كان طبيب استشاري كبير وقد أخبرني بما أخبرني به دكتور نبيل، جلست أفكر في ذلك الأمر وكيف أزوجها بذلك السن الصغير والذي بالتأكيد سيؤثر على حلمها، وكأن نعمة شعرت بما يدور بفكري فتأثرت نفسيتها وأثر ذلك على دراستها مع الأسف والنتيجة أنها جاءت بمجموع صغير وساءت حالتها لذلك كثيرًا، حاولت أن أخفف عنها الأمر قدر استطاعتي وفكرت أن أدخلها جامعة طب خاصة ولكن مجدي رفض، هو كان في الحقيقة رافضًا لمسألة تعليمهم من الأساس لذلك كان متوقعًا رفضه ذلك، بعد ذلك أخذت بمشورة دكتور نبيل الذي أشار عليّ بأن تلتحق بكلية الزراعة وذلك ممكن أن يؤهلها لأن تكون دكتورة تغذية أو دكتورة تحاليل، وقد كان الأمر والتحقت نعمة بكلية الزراعة، وأثناء عامها الأول بالكلية شاء القدر أن تحضر فرح صديقة لها ورآها هناك أمجد الذي أعجب بها على الفور وتقدم لطلب يدها، كان يعمل صحفي ووالدته كانت طبيبة والتمسنا فيه وأهله الأخلاق فوافقنا عليه وتمت خطبتهم، وأثناء فترة الخطوبة فوجئت بنعمة تقول لي ذات يوم:

ـ ماما.. أنا أشعر بأن الورم يكبر.

لا أنكر أنني خفت كثيرًا ولم أكذب خبر وذهبت بها إلى الطبيب وهناك قال لي الطبيب بعد فحصها:

- هذا الورم وارد أن يكبر مع الأسف أكثر من ذلك، وأنا أرى أنه لابد من التدخل الجراحي حتى لا يسيء الوضع.

استمعت إلى الطبيب وقد حل عليّ صمت غير طبيعي، سيطر عليّ الحزن وخفت على ابنتي وأخذت أفكر كثيرًا في الأمر إلى أن دخلت نعمة عليّ ذات يوم لتجد فمي معوج ونصفي الأيمن لا يتحرك ولم أستطع التحدث، وعندما رأتني هكذا كانت وحدها فجريت على أمل تتصل بها وتخبرها بما ألم بي، وسألتها أمل:

- أين أبي؟

- بالخارج ولا أعرف له طريق

- انتظريني وأنا سآتي وننقلها معا الى المشفى بسرعة.

ولكن نعمة لم تنتظر  فقد كانت تعلم بظروف أخواتها فأمل معها طفلة صغيرة ومنة كانت حامل وقتها؛ فهاتفت خالها الذي لم يكن موجود فأتى أولاد خالها وطلبوا الاسعاف وذهبوا بي إلى المشفى، وكان التقرير الأولي أنها جلطة وقبل أن يسعفني الأطباء توقف قلبي تمامًا فأخذت نعمة تصرخ باسمي وقبل أن يتدخلوا لانعاش قلبي بالصدمات الكهربائية دق قلبي من جديد تزامنًا مع صرخات نعمة العالية؛ التي مرضتُ حزنًا عليها وكدت أموت ثم عدت للحياة من أجلها.

جاء مجدي إلى المشفى ليلًا بعد أن هاتفوه وأخبروه بأمري، كان يظن أن الأمر هين ولم يتخيل خطورة حالتي، اندهش كثيرًا مما حدث معي فلم يكن يلقى بالًا لمرض

ابنته وقد تركني أتولى أمرها وحدي، وعندما رآه أخي بالمشفى صرخ به وقد ظنه السبب فيما حدث لي، معذور أخي فقد كانت خلافاتي مع مجدي كثيرة بالفعل، أخذ يؤكد مجدي له أنه لم يفعل لي شيئا وأدركوا أن ما حدث معي سببه كان خوفه على ابنتي، وبعدما فوقت قليلًا من تلك الجلطة جلسوا معي وأخذوا يهونون الأمر عليّ، ولم تتركني نعمة كما كنت أفعل معها أثناء مرضها، كانت تجلس إلى جانبي وتبكي على حالي وبعد ثلاثة أسابيع حاولت أن احرك يدي بقدر استطاعتي لاطمئن ابنتي المسكينة، وحركتها بالفعل من أجلها لأظهر لها أنني بخير، قررت أن أتعافى بأي شكل من أجلها ورجوت الله أن يعطيني العمر والصحة لأزوجها في حياتي؛ فلم أكن أريد أن اتركها مع والدها وحدها.

فور تماثلي للشفاء أخذت نعمة إلى الطبيب لاطمئن على حالتها وفوجئنا بمعجزة قد حدثت؛ فقد أخبرنا الطبيب أن الورم تقلص حجمه ولكن مع ذلك يجب أن نراقبه ونقوم بالفحص كل فترة وطلب مني أن أعجل بزواجها كما أخبرني من قبل، ولم أكذب خبر وعجلت بزواجها وكانت نعمة تتابع الورم مع حماتها وطبيبها وعندما أنجبت تحسنت حالتها بالفعل مع الرضاعة.

لم أكف يومًا عن الدعاء لفتياتي؛ فقد كنت أدعو الله وأطلب منه أن يحسن تربيتهم، ودعوت الله أيضًا ألا تمر أي منهم بما مررت به أنا مع مجدي ولكن مع الأسف ما زرعه مجدي حصدته ابنته أمل عندما أنجبت فتاة ووقتها

زوجها تجهم وغضب بسبب ذلك لأنه كان يريد الولد هو الآخر، وقتها جلست مع مجدي وأنا مشحونة بأحاسيس شتى وكنت غاضبة للغاية فقولت أصب جام غضبي عليه :

ـ هل ترى ما فعلته من قبل كيف تم رده في ابنتك؟

نظر لي بدهشة وقال:

ـ وما الخطأ فيما فعلته؟

ـ لقد كنت طوال الوقت تمقت الفتيات وتتمنى أن يرزقك الله بولد ولم تستطع أن تكون لهم أب يحبهم ويحنو عليهم

ـ وهل قصرت معكم في شيء؟ فكلما كنتن تطلبون مني شيئا كنت أوفره لكم

ـ ذلك لا يكفي، أنت لم تراهم بعين الأب يوما، لم تهتم بهم ولم تعرف بأي مرحلة دراسية كانوا، أنت لم تكن تعرف عنهم شيئا

ـ أنا...

ـ ابنتك حالتها سيئة وتبكي بسبب موقف زوجها منها لأنها أنجبت له فتاة وكأن هذا بيدها، عليك أن تتصرف في ذلك الأمر.

قولت ذلك له وقمت وتركته، ولكن قبل أن أتركه لمحت في عينيه نظرة ندم حقيقية وقد تأكد لي ذلك بعد أن جلس مع زوج ابنته لينصحه وقال له ما كنت أقوله له على مدار أعوام طويلة، أعوام مرت عليه دون أن يعرف بقيمة

فتياته.

وبرغم إدراك مجدي لغلطته إلا أن معاملته ظلت كما هي لم تتغير،كان يقابل الفتيات بجفاء ويستنكر استقبالي لهم وعزومتهم على الغداء أو أن تمكث إحدى الفتيات بعد الولادة عندنا بالمنزل، كان مشحون بالطبع بكلام سيء من جهة عائلته خاصّة عندما أنجبت منة فتاة هي الأخرى فأخذوا يرددون جميعًا أن فتياتي مثلي لا ينجبون الذكور، وكأنه مرض أو وصمة عار لحقتهم، إلى أن نصرني ونصرهم الله في نعمة التي أنجبت محمد حفيدي وحبيبي فاختلفت نظرتهم لنا قليلًا، ولكن من يهمه نظرتهم إلينا الآن حتى عندما توفت حماتي لم يشعر أي من فتياتي بالحزن عليها، وكيف يشعرون بالحزن عليها وهي لم تكن تعاملهم معاملة حسنة، ولكني مع ذلك سامحتها ودعوت الله أن يرحمها ويغفر لها.

8

## الخاتمة

بعد زواج الفتيات خلى المنزل من لون الحياة الجميل وافتقدت الشعور بالحب فحاولت التحدث مع مجدي التمس منه تغيير معاملته لي وللفتيات فقولت له:

. مجدي.. يجب أن تحسن استقبال الفتيات وترحب

بوجودهم هنا

ـ وهل تريننني أقابلهم بالضرب والإهانة؟

ـ أنا أقصد أن لا تقابلهم ببرود ووجه عابس كعادتك، أنا مثلا كان يقابلني أبي بحب وعطف ويأخذني بحضنه ويقبلني، لمَ لا تفعل ذلك؟

ـ أنا لا أفهم في تلك العواطف والمشاعر التي تتحدثين عنها ولقد فات الأوان أن أتعلمها الآن

احتديت عليه وقولت:

ـ هذا شيء لا يحتمل، لقد مللت تصرفاتك، إن لم تغير من تصرفاتك تلك سأترك لك المنزل.

وتركته يفكر في حديثي الذي لم يكن يستوعبه وكيف له أن يستعبه وهو قد نشأ على الجفاء دون عاطفة، ولكن ما أسعدني قليلًا أنه بدأ يغير من معاملته للفتيات وابنائهم بالفعل، ولكن ذلك كان بالنسة للفتيات أما عني فلم يغير شيء، ووجدتني أكره حياتي ومنزلي، لم أستطع الحياة دون عاطفة أو حب وواجهته بذلك إذ وجدني ذات يوم أقول له:

ـ طلقني يا مجدي

قال بدهشة:

ـ ماذا.. وما السبب في طلبك هذا؟!

ـ لقد سئمت المعيشة معك على هذا الحال

- وما بها الحياة معي؟

- ليست بها مظهر من مظاهر الحياة، أشعر أنني مدفونة حية، ليس هناك مشاعر وأحاسيس، حياتي معك جافة كالورد الذي نضبت مياهه فذبل

- أنا لا أفهم كلامك هذا

- ولن تفهمه أبدًا لذلك طلقني

- هل تقولين ذلك الآن بعد كل ذلك العمر؟!

- لقد كان ما يصبرني على هذا الوضع هم فتياتي ولكن الآن لم أعد أستطيع التحمل، طلقني أرجوك.

وعندما لم يفلح في عدولي عن قراري استعان بأخي الأكبر الذي جاء ليصلح بيننا على حد قوله، لم يكن يعلم أن ما بيني وبينه لا يمكن إصلاحه، وعندما حضر أخي جلس معي وحدي وسألني:

- ما الذي جد لطلبك هذا؟

- لم أعد أستطيع العيش معه، لقد سئمت معاملته الجافة، أريد أن أشعر بالحب

- هل تريدين الانفصال عنه الآن وتهدمين ما بنيتيه بالثلاثون عام الماضية؟

- لقد سئمت حقًا المعيشة بتلك الطريقة، أريد التحرر منه

- ولكن هذا قرار غير صائب، طالما استطعتي أن تتحملي كل هذا العمر تحملي القادم من أجل فتياتك ومستقبلهم،

من أجل ألا تتشردي بين بيوت فتياتك وتصبحين ثقيلة عليهم؛ فأنتِ تعلمين أن شقيقنا الصغير وزوجته وابنائه يعيش بالمنزل مع والدنا ولن ترتاحي معهم بالتأكيد.

التزمت الصمت لأفكر في حديثه الذي كان منطقي جدا في حين قراري أنا لم يكن منطقي بالمرة؛ فماذا سيفعل والدي المسكين بذلك العمر عندما يعلم أنني انفصلت عن زوجي؛ سيظل يحمل همي مع الأسف وهو مريض ولم يعد يتحمل مثل السابق خاصة بعد وفاة أمي شريكة حياته ورفيقة عمره؛ فآثرت العدول عن قراري للمرة الألف واستسلمت لواقعي المرير وألهيت نفسي بفتياتي وأحفادي وكرست وقتي كله لهم ولمساعدتهم في حياتهم، ولجأت إلى موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك الذي نصحني به فتياتي حتى نتحدث باستمرار خاصّة مع تفشي مرض الكورونا اللعين الذي وصل إلى عائلتي الحبيبة عندما مرضت ابنتي الكبرى هي وزوجها وعزلوا نفسهم في منزلهم فذهبت إليهم لآخذ فريدة ابنتهم لأعزلها عندي، ولم أكن أتركهم مع ذلك فقد كنت أذهب إليهم من حين لآخر لأعطهم الحقنة تحت أنظار مجدي الذي كان معترضًا على ذلك فقد كان يخشى العدوى منهم؛ لذلك تعلمت كيفية استخدام الفيس بوك وقد أفادني كثيرًا خصوصًا عندما انتقلت إليّ العدوى أنا الأخرى فعزلت نفسي وكنت اطمئن يوميًا على فتياتي عن طريق الفيديو كول وخصوصًا نعمة التي كانت حامل بمحمد وقتها، وأخذت أتواصل مع أماني كل يوم عن طريق

الفيديو أيضًا فلم نكن نرى بعضنا مع الأسف كل أسبوع كما بالسابق لأنها عندما تزوجت انتقلت إلى مدينة العبور، ولكن بُعد المسافة بيننا لم يكن يؤثر على صداقتنا ومازلنا نتقابل كل فترة لنجلس ونتسامر معًا كما ذي قبل، وكانت أماني تحب رؤية فتياتي التي كانت بمثابة أم ثانية لهم؛ فلم ينعم الله عليها بالابناء لذا كانت تعتبر فتياتي ابنائها بالفعل منذ ولادتهم باليوم الأول.

حاولت أن أجد نفسي في شيء مفيد فعدت لهوايتي القديمة القراءة التي كنت أعشقها منذ صغري عندما كان أبي يأتيني بالجرائد والكتب فكنت أقرئها بنهم، وأخذت أتابع قصص الحب وأقرأ عنها وأعيش مع الأبطال لحظات الحب الجميلة وعندما أعود لأرض الواقع من جديد اجتمع بفتياتي وأحفادي لأحظى بالحب الحقيقي وأجمل لحظات عمري.

تمت